صفحات من صراع الدول بالمغرب الإسلامي
من أجل السيطرة على مسالك الاتصالات التجارية الصحراوية

الأستاذ: عزالدين عقيبي، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

موضوع هذه الدراسة هو محاولة الكشف عن إرادة ورغبة السيطرة على المسالك التجارية الصحراوية، لدى أغلب دول المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، سعيا منها إلى احتكارها بغية تدعيم كياناتها ومن ثم نفوذها في البلاد، نظرا لدورها الكبير في الدورة التجارية المغربية والإسلامية حينها، وانعكاس ذلك في إذكاء الصراع بينها خلال العصر الوسيط، وإماطة اللثام عن مختلف السياسات والأساليب المنتهجة من قبلهم في سبيل تحقيق أهدافهم، ومن ثم تأصيل تفسير الاحتدام بينها بالعامل الاقتصادي وتجاوز النظرة التقليدية التي اعتادت على تحليله بالدوافع السياسية والمذهبية فحسب.

Abstract:

The theme of this study is to attempt to discover the will and desire to control the desert trade routes, the majority of the Muslim countries of the Maghreb in the Middle Ages, in an effort to monopoly in order to strengthen their profiles and then its influence in the country, given its substantial role in the Maghreban Islamic and then the business cycle, and the reflection of this in raising the conflict between them during the Middle Ages, and the unmasking of various policies and methods made known by them in order to achieve their goals, and then rooting interpretation of rage among economic factor and overcome the traditional view, which are used to analyze the political and religious motives only.

مقدّمة:

تميز تاريخ العالم الإسلامي في العصر الوسيط، وفي المنطقة الغربية منه خصوصا، بالكثير من الظواهر التاريخية، والتي لا تزال يُسَالُ الحبر حولها، كما هو الشأن بالنسبة للظاهرة التاريخية التي نحن بصدد دراستها، ألا وهي قضية السيطرة على مسالك الإتصالات التجارية الصحراوية، وهذا الموضوع بقدر ما تم التطرق إليه من قبل الكثير من الباحثين مع إشارتهم إليه كظاهرة مميزة لتاريخ الغرب الإسلامي عموما(1)، إلا أنه مازال في حاجة إلى التحليل والإحاطة أكثر في اعتباري، ذلك أن الكثير منها لم تتوسع في دراسته إذ أشارت إليه إشارات مقتضبة، إلى جانب إقتصار الغالبية منها على حصر الصراع حولها بين دول معينة بذاتها في معظم الحالات، وفي فترة محددة أيضا، وبالتالي لم تتطرق إلى تأكيد أن هذه الظاهرة اتسمت بأنها ظاهرة عامة بين أغلب دول الغرب الإسلامي، مع تفسير الكثير منها للصراع المذكور تفسيرا تقليديا أساسه العوامل المذهبية والسياسية والعسكرية، متجاهلة بذلك العامل الاقتصادي(2) وبالأخص الجانب الجديد منه والمتمثل في السيطرة على المسالك التجارية الصحراوية.

وتوازيا مع الدراسات الحديثة التي بدأت تتجه في بحثها للتاريخ إلى تناول قضايا محددة بذاتها، لتعطي له صبغة أكثر شمولية من خلال تطرقها إلى مختلف الجوانب سواء منها الإقتصادية والإجتماعية والطبيعية أو غير ذلك، محررة إياه من قيود الرؤى التقليدية التي كانت مسيطرة عليه، والتي تقوم أساسا على تفسير التاريخ بناءً على الدوافع السياسية والعسكرية والمذهبية فحسب، كما أن موضوعا مثل هذا حري بأن يخصص له بحث متكامل ضمن الدراسات الأكاديمية، نظرا لأهميته وآثاره كموجه لدفة التاريخ في منطقة الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، ومن هنا جاءت الحاجة إلى كتابة هذه المقالة إذ الجديد فيها هو محاولة إعطاء نظرة عامة حول الموضوع بالتوسع في دراسته من جهة، وللتأكيد على أن الظاهرة المذكورة آنفا اتسمت بأنها عامة، اعتبارا من اشتراك أغلب دول المنطقة في الفترة الوسيطة في نفس الهدف وهو السيطرة على المسالك الصحراوية، نظرا لما

كانت تدره من أرباح وفيرة، وأهميتها في الدورة التجارية المغربية آنذاك، شكلت بذلك الإهتمام الرئيس والقضية الأساسية لديها (أي الدول المذكورة)، سعيا منها إلى السيطرة عليها ومن ثم احتكارها تدعيما في الأخير لكيانها ومن ثم نفوذها في البلاد.

والكشف عن مختلف السياسات والأساليب المنتهجة من قبلهم في سبيل تحقيق ذلك، سواء منها المشروعة أو غير المشروعة، المستترة في أغلب الأحيان والمعلنة أحيانا أخرى، من ذلك إقامة العلاقات المباشرة مع الدول والممالك التي تشكل محطات أو نهايات للمسالك المذكورة أو من خلال إيفاد الحملات العسكرية إليها، بل ومناصرة مختلف الحركات المناوئة للطرف الأخر، بغض النظر عن لون فاعليها أو مشاربهم، واستغلالها إلى جانب ذلك للصراع القبلي إلى أبعد الحدود، إضافة إلى إصرارها على محاربة الموالين للخصم، وغيرها من السياسات.

وإبراز مدى مبلغها في صيرورة الصراع بينها خلال العصر الوسيط، وأنه قد كان لها أثر واضح في السياسة الداخلية والدولية لكل منها، وتأكيد (أن العلاقات الدولية كانت ولا تزال تخضع لعامل المصلحة وليس للدين أو المذهب أو رابطة الدم)[3]، وبالتالي تأصيل التفسير الإقتصادي للصراع بينها إلى جانب العوامل الأخرى.

وعليه أمكن التساؤل: كيف أضحت المسالك التجارية الصحراوية أحد أبرز عوامل الصراع بين دول الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط؟

وقبل الشروع في توضيح ما تقدم ذكره، حري بنا أولا التعريف بهذه المسالك التي أججت هذا الصراع.

1.التعريف بشبكات المسالك محل الصراع:

هي مسالك تجارة الذهب والرقيق الرابطة جنوبا- شمالا بين الواجهتين الخطيرتين في الدورة التجارية المغربية، وبالتالي الإسلامية في العصر الوسيط ولاسيما المغربين الأوسط و الأقصى: الواجهة البحرية ، والواجهة الصحراوية، و

شبكة المسالك هذه متصلة في نفس الوقت بالمسالك الرابطة بين بلاد السودان والأندلس من جهة، وبين المشرق الإسلامي من جهة أخرى، وعلى العموم فقد كانت هناك ثلاث طرق رئيسية تتجه نحو الصحراء الإفريقية ترتبط معها شبكات من المسالك الفرعية، تمثلت في الطريق الشرقي الذي يجتاز المغرب الأدنى، والطريق الذي يمر بالمغرب الأوسط، والطريق الغربي في المغرب الأقصى[4].

2. بدايات التعرف والاهتمام:

بالعودة إلى واقع الأحداث، فقد كان الاهتمام في البدء بالمسلك الغربي من قبل الخلفاء الأمويين نظرا إلى حاجتهم للذهب والفضة و العبيد المجلوبة من بلاد السودان، خاصة خلال القرن الثاني للهجرة[5]، فعمل والي الأمويين على المغرب عبد الرحمان بن حبيب(130-138هـ/ 747-755م) على تحقيق ذلك بتهيئة الطريق الذي يربط بين مناطق السوس جنوب المغرب الأقصى ومدينة أود غشت[6]، بحفر ثلاثة آبار جديدة لتوفير الماء وهو أهم حاجات الرفاق (التجار) في رحلتهم إلى بلاد السودان الغربي[7].

واعتبارا من هذا الإنجاز السالف للذكر، اضطلع المغرب الإسلامي، وخاصة خلال الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين، بأهم دور تجاري مع السودان الغربي، إذ أصبح يلعب دور الموزع العالمي للذهب، سواء على شكل مسحوق(التبر)، أو على شكل قطع ذهبية أو قطع نقدية، وكان يقوم بتحويل جزء كبير من الذهب إلى أوربا عن طريق القوافل التجارية التي كانت تذهب للبحث عنه فيما وراء الصحراء في عمق السودان[8] ، عبر الطريق الغربي بالأخص، والذي اكتسى أهمية كبيرة، ليس لأن نهاياته كانت مجاورة لمصادر الذهب والرقيق فحسب، وهي نفس السلع التي كان يحتاج إليها المغرب والعالم الإسلامي في العصور الوسطى، بل لمرور ذلك الطريق الصحراوي عبر مناجم الملح في الصحراء الغربية، كون الملح أهم مادة تحمل إلى السودان، بسبب ندرته هناك[9].

لكن بعد ذلك، شهدت بلاد المغرب فترة من الصراع المذهبي، حيث شكلت حركة الخوارج[10] إحدى أهم مظاهره ابتداءً من سنة 122هـ/ 739م والذي استمر حوالي أربعين سنة، مما نتج عنه توقف المبادلات التجارية بسبب انعدام الأمن عبر المسالك التجارية باعتباره عاملا مهما في النشاط التجاري[11].

3. **احتكار الخوارج في المغرب الإسلامي للمسالك التجارية الصحراوية خلال القرن 2هـ/8 م:**

بعد ظهور دولتي الخوارج بالمغربين الأوسط والأقصى منذ منتصف القرن 2هـ /8 م، ازدهر بالأخص المسلكين الأوسط و الغربي، فقد أدى استقرار الإباضية (مذهب من مذاهب الخوارج) على أطراف الصحراء في واحات فزان وجبل نفوسة وغدا مس (مدن تقع جنوب ليبيا الحالية)، ووراكلان(ورقلة الحالية في جنوب الجزائر)، إلى ارتباطهم القوي بتجارة الصحراء، من خلال عمل الدولة الرستمية[12] على ربط وتمتين علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع مختلف ممالك السودان الغربي، فابن الصغير أفاد أن تيهرت عاصمة دولتهم كانت لها أهمية خاصة في التجارة مع بلاد السودان في العصر الوسيط، حيث ذكر أنها كانت تأتيها الرفاق (القوافل) من كل الأمصار وكانت ملتقى الطرق القادمة من المشرق وإفريقية وبلاد السودان[13].

والسبب الذي جعلها تتبوأ هذه المكانة التجارية، هو أن التجارة الصحراوية منها على الأخص، كانت محل اهتمام الأئمة الرستميين أنفسهم، وقد كان هذا الإهتمام منذ العهود الأولى لقيام دولتهم، فالدرجيني يورد لنا أن الإمام الثاني عبد الوهاب كان تاجرا، ومن شدة حرصه على ضمان نجاح تجارته باتجاه السودان الغربي، منع ابنه أفلح من الذهاب إلى هناك بعد أن اختبره بخصوص مسألة في الربا قائلا له:(أقم لئلا تدخل علينا بالربا)[14]، وبعد أن كبر الأخير حرص على تمتين العلاقات مع ملوك السودان، فابن الصغير ذكر أن الإمام الرستمي أفلح ابن عبد الوهاب(180هـ إلى 220هـ/ 796م الى 844م) أوفد

محمد بن عرفة كسفير إلى ملك السودان حاملا معه هدية[15]، وإن لم يحدد وجهتها[(16)].

وقد كان يربطهم مع السودان الغربي طريق تجاري ثانوي، يمتد من تيهرت ومن ملجأ الإباضيين في وركلان، سدراتة وميزاب، تؤدي إلى تغازة أو أود غشت، ومنها إلى تادمكة، ومنها إلى كاكاو(غو) عاصمة سنغاي[(17)]، وهو الطريق الذي كان محتكرا أكثر من قبلهم، بخلاف الطريق الغربي المحتكر من قبل المدراريين في سجلماسة[(18)]، ما دفعهم إلى ربط علاقات مصاهرة معهم[(19)]، كما أشار الشماخي إلى وجود تجارة واسعة بين جبل نفوسة وبلاد الكانم، خاصة وأن عامل جبل نفوسة أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني المعين من طرف عبد الوهاب الإمام الرستمي، والذي كان أصله من مدينة جناوة السودانية، كان يحسن التكلم بالكانمية، إلى جانب العربية والبربرية[(20)]، إلى جانب ذلك فقد أشرفت الدولة الرستمية على التجارة الصحراوية، واهتمت بها وحفرت الآبار للقوافل في الصحراء، وأرسلت الجنود صحبة التجار لتأمينهم[(21)]، فابن الصغير يذكر أن أبا اليقظان كان قد أخرج ابنه – أبا حاتم- مع وجوه زناته ليجوروا قوافل آتية من المشرق[(22)]، ناهيك عن تجارة الصحراء.

كما ساهم الخوارج الصفرية الذين أسسوا الدولة المدرارية[(23)] في سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى عام 140هـ 757م، بدور هام في التجارة الصحراوية، فهذه المدينة كانت تجتمع فيها القوافل التجارية القادمة من المشرق بالإضافة إلى أمصار المغرب، فكانت بمثابة ميناء صحراوي تتجمع فيه سلعتان ثمينتان مع سلع بلاد السودان هما الذهب والرقيق[(24)]، هاته السلع التي كانت تجلب من هناك عبر الطريق الذي كان يربطها مع مملكة غانة عبر صحراء نيسر القاحلة.

إذ بين الإدريسي ذلك بقوله : (وعلى هذه الصحراء طريق تجار أهل أغمات، وسجلماسة، ودرعة، ونول الأقصى إلى بلاد غانة)[(25)]، وفي مرحلة أخرى ارتبطت مع مدينة تمبكتو في مملكة مالي القديمة (مازالت إلى اليوم في مالي الحالية)

بعد بروز الأخيرة كمحطة تجارية، حيث يمتد هذا الطريق من سجلماسة إلى تاغزة ومنها إلى ولاته، وتبلغ المسافة من سجلماسة إلى ولاته شهرين كاملين(26).

ونظرا لتبوؤ هذه الطرق لهذه المكانة التجارية ، فقد كانت محل اهتمام الأمراء المدراريين، ففي النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ 10م، حين كانت ما تزال تحت حكم بني مدرار، كان اليسع بن مدرار يحكم رقابته المشددة على حركة القوافل التجارية ويرصد كل من يسقط أخبارها ويتعرف على رجالها(27).

ومما ساهم في احتكار الخوارج للطرق المذكورة، أن الدولتان الخارجيتان كانت تجمع بينهما صلات عائلية، ومن ثم فقد كانتا تشكلان إمبراطورية تسيطر على جميع الطرق الآتية من الجنوب(28)، ولعل في إقامة الرستميين لعلاقة المصاهرة مع البيت المدراري، كان لأجل ضمان سير قوافلهم التجارية على الطريق الذي يمر بمدينة سجلماسة عاصمة المدراريين باتجاه غانة.

4. الصراع الإدريسي الخارجي في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي:

رغم إتحاد الخوارج الصفرية والإباضية كما ذكرنا، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود منافسين لهم على هذه الطرق، وبالأخص الأدارسة(29)، الذين كانت لهم محاولات حثيثة في ذلك، فالمصادر التاريخية تحفل بكثير من الشواهد التاريخية(30) التي تؤكد العداء الصارخ بين الأدارسة وبني مدرار، كذلك بني رستم، أضف إلى ذلك الخلاف المذهبي، فالأدارسة من الشيعة الزيدية وبني مدرار من الخوارج الصفرية، أما بنوا رستم فهم إباضيون.

لكن نظرة صحيحة وشاملة لأبعاد الصراع الإدريسي- الخارجي يجب أن تضع في الإعتبار قيام دولة الأدارسة وتوسعها على حساب تلك الدول الخارجية، كما أن معطيات الجغرافيا قد حددت موضع دولة الأدارسة بين تلك الدول الضعيفة التي أحاطت بها من الشرق و الغرب و الجنوب، جعلت الصدام بين الطرفين أمرًا محتمًا.

وتأسيسا على ذلك يمكن الجزم بالدوافع الإقتصادية والإجتماعية والإستراتيجية، باعتبارها حجر الزاوية في صياغة السياسة الإدريسية التوسعية، ففيما يتعلق بالحافز الإقتصادي، نلاحظ أن المناطق التي إستهدفها التوسع الإدريسي كانت إما سهولا غنية بالإنتاج الزراعي و الحيواني كسهول تامسنا[31]. البورغواطية[32] وإما مناطق ذات ثروة معدنية كإقليم درعة الغني بالفضة التابع لبني مدرار، وإما مدنا ذات أهمية تجارية كتلمسان وموانئ المغرب الأوسط على البحر المتوسط، ذات الصلة الوثيقة بتجارة المشرق و الأندلس، وكانت تابعة لبني رستم، أو مدنا وطرق ومنافذ صحراوية على صلة بتجارة السودان، كطريق سجلماسة في دولة بني مدرار، وطريق تاوردانت في الدولة البورغواطية، لم يكن جزافا أن يمم الأدارسة حملاتهم صوب هذه النواحي لغزوها وانتزاعها من جيرانهم الخوارج[33].

ومن هنا ندرك أن العداء بين الأدارسة و البورغواطيين لا يرجع إلى الاختلاف المذهبي فحسب، بقدر ما يرجع إلى أطماع الأدارسة في مقدرات تامسنا الإقتصادية، فضلا عن شهرة إقليم تامسنا بالإنتاج الزراعي و الحيواني الوفير وامتداد سواحلها على المحيط الأطلسي، الذي أهل البورغواطيين لاحتراف الصيد، تحكم موقع الدولة في الطريق الغربي إلى تجارة السودان، وهو طريق تاوردانت فإذا أضيف إلى ذلك الصلات الودية بين بورغواطة وأمويي الأندلس أعداء الأدارسة، أدركنا الأسباب الموضوعية التي حفزت إلى اتسام العلاقات بين الأدارسة و البورغواطين بالعداء السافر[34].

ونتيجة لهذه المقدرات التي تمتع بها هذا الإقليم، جرد الأدارسة حملة إدريس الأول لضم إقليم تامسنا، لكن هذه الحملة لم تحقق أغراضها نتيجة استئساد بورغواطة للدفاع عن استقلالها، وهذا يفسر لماذا أعاد إدريس الثاني الكرة حيث دارت" وقائع عظيمة' لم تسفر كذلك عن سقوط دولة بورغواطة نهائيا، لكنها نجحت في اقتطاع بعض المدن الهامة – كنفيس وفتحت للأدراسة بابا للوصول إلى تجارة السودان[35].

وفي عهد محمد بن إدريس توجهت حملة كبرى إلى ديار بورغواطة نجحت بالفعل في تحقيق أغراضها، إذ أسفرت عن سقوط بورغواطة إلى حين، على إثر معركة فاصلة دارت عام 220هـ/ 832م، وخضع على إثرها إقليم تامسنا قرابة خمسين سنة لحكم الأدارسة [36]، وبذلك تم لهم السيطرة على طريق تاوردانت الذي يصل المغرب بالسودان الغربي خلال هذه الفترة.

أما فيما يخص المدراريين بسجلماسة، فلم تختلف سياسة الأدارسة نحوهم عن مثيلتها تجاه البورغواطيين، فالعداء بينهم لا يرجع إلى الاختلاف المذهبي في كون الأدارسة زيديين و بني مدرار صفريون، بقدر ما تأصل نتيجة أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية.

فسياسيا صادق المدراريون أعداء الأدارسة من البورغواطية وبني رستم وبني أمية بالأندلس، كما أن قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى تم على حساب الخوارج الصفرية، فإذا أضيف إلى ذلك أطماع الأدارسة في ذهب سجلماسة وفضة درعة، أدركنا الحافز الرئيس على الصراع الإدريسي المدراري[37]، إضافة إلى تحكم الدولة المدرارية في الفرع الثاني للطريق الغربي الذي يجتاز عاصمتهم سجلماسة نحو مملكة غانة كما سبق وأن ذكرنا

ونتيجة لهذه الأسباب التي ذكرناها دشن الأدارسة علاقتهم مع بني مدرار بإنفاذ حملة عسكرية للاستيلاء على تلمسان[38]، وبنجاح إدريس الأول في الاستيلاء عليها[39]، حرم المدراريين من ظهير بشري هائل فضلا عن مدينة ذات شهرة اقتصادية فائقة[40].

واصل الأدراسة سياستهم في اقتطاع أطراف الدولة المدرارية، خاصة ما تمتع منها بأهمية اقتصادية أو إستراتيجية، وساعد على ذلك ما جرى من سياسة اللامركزية التي طبقها محمد بن إدريس حين أسند حكم الولايات لإخوته، إذ تبارى هؤلاء في توسيع مجال نفوذهم على حساب بني مدرار[41]، فقد ذكر اليعقوبي أن الأمير عبد الله بن إدريس الذي استقل بأغمات ونفيس والسوس الأقصى، تمكن من اقتطاع بعض الحصون الهامة التابعة لبني مدرار، وأن أخاه يحي

بن إدريس نجح في ضم بلدة تامدلت- قرب درعة - وهدد مناجم الفضة في درعة نفسها، لكن انشغاله بالصراع مع إخوته حال دون الإستيلاء عليها[42].

أما الأغالبة [43] بإفريقية(تونس الحالية) فقد حالت الدولة الرستمية أمام أي أطماع لهم للتوسع جنوبا، لذلك فقد وجهوا نظرهم اتجاه البحر (صقلية)[44].

وعلى العموم، فقد أدى الوضع السياسي المفروض- إن صح التعبير- إلى نوع من الاستقرار شهده المغرب الإسلامي بالأخص خلال القرن الثالث للهجرة، وقد ساهم هذا الاستقرار في تطور المسالك التجارية وأمنها، مما انعكس بشكل فعال في تنشيط حركة التبادل التجاري، وقد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تناقضًا بين بروز هذه النظم السياسية المختلفة وبين التطور و الازدهار الاقتصادي، وتعليل ذلك أن هذه الدول أكتفت بموارد المسالك التجارية الموجودة داخل نطاق منطقتها الجغرافية، ودون محاولة توسيع مجالها على حساب منطقة الدول المجاورة[45]، فالبرغم من أن العلاقات بين هذه الدول اتسمت بطابع العداء الذي ترجم إلى صراعات عسكرية مريرة، لكنها لم تسفر عن الإطاحة بأي من هذه القوى، نظرا لفعالية التعاون الإقتصادي في صياغة تاريخ العلاقات السياسية آنذاك[46].

5. السيطرة الفاطمية خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري/10م:

مع بداية القرن4 هـ/ 10 م، نجح الفاطميون[47] في السيطرة على بلاد المغرب، بعد أن قضوا على الدول المستقلة كالأغالبة والرستميين و الأدارسة، و أخيرا بني مدرار في سجلماسة، و بقيام الدولة العبيدية في القرن المذكور، كان للفاطميين هم أيضا اهتمام بذهب السودان و المسالك المؤدية إليه، فأحكموا مرا قبتهم لهذه الطرق وبالأخص المسلك الغربي انطلاقا من سجلماسة، فحملاتهم نحو الغرب الإسلامي[48] لم تكن تهدف إلى توسع ترابي أو السيطرة على مناطق جغرافية جديدة، بل تهدف بالخصوص إلى تدعيم النفوذ السياسي والسيطرة على مراكز حساسة تقع على مسالك تجارة الذهب والرقيق مثل: سجلماسة، فاس،

تاهرت، بلاد الزاب، افريقية، أو السيطرة على مدن المرافئ المرتبطة بالتجارة الصحراوية [49].

لذلك تصدى الفاطميون للثورات التي اندلعت في سجلماسة ضد الوجود الفاطمي الشيعي منذ الاستيلاء على المدينة عام 296هـ/ 909م، حتى انتقال الخلاقة الفاطمية إلى القاهرة عام 392هـ/ 973م[50]، ويعد العامل الاقتصادي العامل الرئيس لاشتعال تلك الثورات ضد الفاطميين، فقد احتكروا تجارة الصادر والوارد مع بلاد السودان الغربي، لذلك قاد تلك الثورات قدماء المنتفعين بتجارة القوافل الكبرى التي غدت تحت سيطرة الفاطميين[51]، ولم تقتصر ثورات الخوارج على مدينة سجلماسة فقط، بل تعدى الأمر إلى مناطق أخرى بالمغرب الإسلامي، ولعلها أخطر تلك الثورات التي واجهت العبيديين والتي هددت كيان دولتهم بشكل مباشر، هي ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الخارجي[52] انطلاقا من سنة 316هـ/ 917م، والتي دامت حوالي عقدين من الزمن، الذي كان مسيرا للقوافل هو الآخر وينتمي إلى منطقة الجريد(جنوب تونس)، غير أن الفاطميين تمكنوا من قمع هذه الثورة واستعادوا سيطرتهم على جميع الطرق التي تمتد في الشمال[53].

أما في الجنوب فيرى الأستاذ (jean Devise) في هذا الصدد أن هزيمة أبي يزيد عزلت إفريقية عن مناطقها الجنوبية عزلا لم يعرف من قبل، وكان نتيجة ذلك ضعف نشاط مسلك تجارة الذهب عن طريق وارجلان (ورقلة) فهو مسلك يسيطر عليه الخوارج ولم ينجح الفاطميون في السيطرة عليه[54]، فالتجارة الصحراوية ظلت تحت سيطرة زناتة، وقد تسامح المنصور معها، وقبل رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي بكل حفاوة وأعطى الزناتيين امتيازات جبائية، وقد استمرت هذه المسالك خاضعة لقبيلة زناتة بعد انتصار المنصور[55]، وللتعويض عن خسارتهم هذه، فقد حاولوا عن طريق الحملات العسكرية (آخرها حملة القائد جوهر الصقلي سنة 347هـ) السيطرة على المسلك الغربي: سجلماسة – أودغشت- بلاد غانة للحصول على ما يحتاجون إليه من الذهب[56]، كما عملوا

على إكرام التجار وقوافلهم المتجهة نحو سجلماسة، باتجاه تيهرت وإطعامهم[57]، وهو ما جعل المعاملات التجارية تزدهر، إذ يشهد ابن حوقل على رؤيته صكا بأودغشت، ملكا لأحد من أهل سجلماسة، بقيمة اثنين وأربعين ألف دينار، ويؤكد أنه لم يشهد مثيلا لهذه القيمة بالمشرق[58]، وهذا النشاط التجاري عبر الطريق الغربي المحتكر من قبل الفاطميين، ساهم في إثراء خزينتهم ، حيث بلغت جباية الضرائب على تجارة القوافل الآتية من السودان من طرف الفاطميين خلال القرن 4هـ/ 10م، أربعمائة دينار سنويا[59]، ومما يبين استفادتهم من ذهب السودان أيضا، هو أن المعز لدين الله الفاطمي لما عزم على توجيه حملته على مصر رصد أموالا مجموعها حوالي أربعة وعشرين مليون دينار، وضعها في صناديق خاصة وختم عليها بخاتمه، وكلف بها ابن المهذب صاحب بيت المال[60].

6. الصراع الفاطمي الأموي خلال القرن الرابع الهجري/ 10م:

شهد هذا القرن أيضا (أي الرابع الهجري)، بروز كتلتان كبيرتان في إفريقيا الشمالية، الأمويون الذين يسيطرون على محطات القوافل في الغرب، والفاطميون الذين يشمل حكمهم المحطات الواقعة في الوسط وفي الشرق، وقد كانت الحرب عوانا ومستمرة في البر والبحر بين صنهاجية وزناتة (قبائل بربرية)[61]، وأما زناتة فقد كانوا يرتبطون بعلاقات حسنة مع الأمويين خلفاء قرطبة، وتحالفوا معهم ضد صنهاجة أعوان الفاطميين في النضال من أجل السيطرة على محطات طرق القوافل[62]، وفي سبيل كسب الصراع، فقد سعى الفاطميون منذ الشهور الأولى إلى السيطرة على المغربين الأوسط والأقصى، نظرا لأهميتها في التحكم في التجارة الصحراوية وتجارة الذهب بصفة خاصة[63].

وقد أدركت قرطبة الخطر الاقتصادي الذي يهددها لو ينجح الفاطميون في السيطرة التامة على المسلك الغربي لتجارة الذهب وتحويله نحو الشرق، وعزل الأندلس عن الدورة التجارية المغربية[64]، لهذا فقد سعى الأمويون هم الآخرون سعيا حثيثا لإبعاد الفاطميين عن هذا المسلك، وضمان وصول ذهب السودان إلى قرطبة عن طريقه: غانة – أودغشت – سجلماسة، موانئ البحر الأبيض

المتوسط[65]، وفي سبيل كسب الصراع دائما، نلاحظ أن كلا النظامين لم يتوانى في انتهاج سياسة مضادة للطرف الأخر تجلت بالأخص في النقاط التالية:

1/ بالنسبة للفاطميين:

1. شن الحملات العسكرية العديدة لإخضاع المناطق الإستراتيجية وإبقائها ضمن حوزة الفاطميين، وقد ذكرنا أهم هذه الحملات.

2. استعمال الجواسيس للتعرف على أوضاع الطرف الأخر بدقة، تحت ستار الرحلة والدراسة والتجارة وما إلى ذلك من أوجه التمويه، فالفاطميون استعملوا رجال النخبة مثل: أبي اليسر الرياضي، وأبي جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، ويبدو أنه أسدى خدمة كبرى للفاطميين، فقد ولاه المهدي الكتابة وديوان البريد إلى وفاته ، وفي نفس الإطار تدخل زيارة ابن حوقل للأندلس، وتركيزه على ذكر الأوضاع الاقتصادية وخيرات الأندلس ومدا خيل الدولة والمسالك.

3. استعمال المخبرين من شأنه أن يساعد على التعرف على الحركات المعارضة للطرف الآخر، ومن ثم مناصرتها ضده، بصرف النظر عن مذاهبها الدينية، مثلما فعل الخليفة عبيد الله المهدي حين ساند ثورة عمر بن حفصون جنوب الأندلس ضد الأمويين هناك، إضافة لاستغلالهم الصراع القبلي وتوظيفه في مواجهة الخصوم، فقد وطد الفاطميون سلطة قبائل صنهاجة في المغربين الأوسط والأقصى على حساب قبائل زناتة مثلما فعل المعز حين عهد بالأمر إلى زيري بن مناد، ثم يعهد بالأمر عند رحيله إلى مصر لأبي الفتوح يوسف بن زيري.

4. محاربة الموالين للطرف الآخر، مثلما فعل الفاطميون حين شنوا حملة سنة 305هـ / 917م بقيادة مصالة بن حبوس للاستحواذ على مدينة نكور وأميرها سعيد بن صالح الموالي للأمويين، ومن بعد ذلك حين قاد أبي القاسم سنة 315هـ حملة لمقاومة القبائل الموالية للأمويين وفي مقدمتهم أسرة بني خزر.

2/ **بالنسبة للأمويين بالأندلس:**

وبالمثل فقد جابههم هؤلاء بسياسة مضادة تجلت في النقاط التالية:

- احتلال مدن إستراتيجية وتجارية حساسة على الشواطئ المغربية: مليلة وسبته وطنجة.
- ولنفس الغرض الذي توخاه الفاطميون من وراء شبكة المخبرين، استخدم الأمويون هم أيضا الجاليات الأندلسية المقيمة بالمدن المغربية، واستفادوا بالخصوص من العلماء الذين فروا من إفريقية، والتحقوا بالأندلس مثل: الخشني والجغرافي الشهير محمد بن يوسف الوراق الذي ألف للحكم الثاني مؤلفا جغرافيا "في مسالك افريقية وممالكها "(اعتمد عليه البكري اعتمادا كليا)، إلى جانب تآليف أخرى عن ممالك المغرب، وعن .تاهرت، ووهران، وسجلماسة و نكور.
- مناصرة الحركات المعارضة للطرف الآخر، بغض النظر عن إيديولوجية أصحابها وألوانهم، من ذلك مناصرة الأمويين في الأندلس بالعدة والعدد والمال لحليف الفاطميين بالأمس موسى بن أبي العافية حين انقلب عليهم وقطع الدعاء لهم في المساجد والمنابر، إضافة إلى ذلك فقد استغلوا عداء زناتة للصنهاجيين بصفة خاصة.
- قرار عبد الرحمان الناصر سنة 317هـ / 929م بحمل لقب الخلافة، متخذا صفة "أمير المؤمنين الناصر لدين الله، آمرا في نفس الوقت بلعن الفواطم على منابر الأندلس، وقد أشارت المصادر إلى قلق عبيد الله المهدي لهذه الخطوة الجديدة التي خطتها قرطبة.
- عقد معاهدات صلح مع الممالك النصرانية في الشمال ليتمكن من تجنيد قواه ضد الفاطميين.

وقد أفضت هذه السياسات المنتهجة من قبل النظامين، إلى إذكاء الاحتدام بينهما لفترة تزيد عن نصف القرن[66]، أين تبادلا مواقع السيطرة على المسالك الصحراوية.

وبالرغم من رحيل الفاطميين إلى مصر بعد فتحهم لها سنة 362هـ / 973م، فقد ظل اهتمامهم بالمسالك التجارية الجنوبية مستمرا، يشهد على ذلك ارتباط الدولة الزيرية الصنهاجية [67] التي تولت أمر افريقية وبلاد الزاب كعمال لهم بعلاقات دبلوماسية مع بلاد السودان، من ذلك وصول هدية من تلك البلاد عام 382هـ/ 991م[68] في عهد الحاكم الثاني لها وهو المنصور بن بلكين بن زيري (373-385هـ/ 982-994م)، كما وصلت هدية أخرى سنة 423هـ / 1032م، أي في عهد المعز بن باديس (406-454هـ/ 1016/ 1062م)، ويصف ابن عذاري هذه الهدية بقوله "هدية جليلة فيها رقيق كثير وأنواع من الحيوانات[69]، والرقيق الذي وصل مع هذه الهدية يعد السلعة الثانية ذات الأهمية بعد الذهب الذي كان يجلب من بلاد السودان الغربي إلى بلاد الغرب[70]، وليس أدل على اهتمام الفاطميين بالطرق المؤدية إلى السودان خلال هذه الفترة، وهو أن المعز لدين الله الفاطمي عند رحيله إلى مصر عهد بالأمر لأبي الفتوح يوسف بن زيري لكي يسترجع السيطرة على المغرب الأقصى، وفعلا بقي هناك بضع سنوات ليعترف في الأخير وبالضبط سنة 371 هـ بتغلب بني أمية على المغرب الأقصى كله، فلما طلب منه العزيز بالله إرسال ألف فارس من أبطال صنهاجة كتب إليه من بلاد الغرب "يعرفه بتغلب بني أمية أمراء الأندلس على بلاد الغرب، وإن الدعاء لهم فيه على المنابر"[71].

وقد سيطر الأمويون على المسلك الغربي بعد حملة يوسف بن زيري إلى منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حيث أصبح يخضع لنفوذ المرابطين[72].

7. سيطرة المرابطين على تجارة الصحراء غربا وتراجع المسلكين الأوسط والشرقي بسبب الهجرة الهلالية في القرن 5هـ/11م:

وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ازدهرت التجارة عبر الصحراء إثر قيام دولة المرابطين[73] ، التي تمكنت من توحيد القبائل الصنهاجية التي تقطن بالجنوب منها: لمتونه، جدالة، ومسوفة، ولمطة[74]، لقد اتحد بربر صنهاجة برغم الخلافات الداخلية من أجل التخلص والقضاء على قبيلة مغراوة الزناتية التي كانت تسيطر على مدن هامة على طريق التجارة الصحراوية وهي: درعة وسجلماسة، و خلال خمس سنوات عمل المرابطون على القضاء على قبيلة مغراوة في جنوب المغرب الأقصى من عام 446هـ/ 1054م إلى عام 451هـ/ 1059م[75]، فسيطر المرابطون على سجلماسة ودرعة عام 446هـ / 1054م[76]، وأدت السيطرة على سجلماسة إلى سيطرة المرابطين على المحطة النهائية الشمالية لطريق القوافل، ثم عاد المرابطون لتوجيه حملة عسكرية ضد مدينة أود غشت عام 446هـ/ 1054م[77]، فاستولوا عليها وبذلك تمكنوا من التحكم في المنفذ الثاني لطريق التجارة عبر الصحراء مما كفل لهم السيطرة على التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها[78]، خاصة وأن هذه المدينة كانت تمثل أهم مركز تجاري لغرب السودان، والتي لا تبعد إلا بخمسة عشر يوما على العاصمة الغانية كومبي صالح، التي تعد بدورها محطة مهمة لتجارة الذهب المستورد من بلاد السودان [79].

والجدير بالإشارة أن هذا الطريق ارتفع شأنه بشكل كبير في هذا القرن، ويرجع السبب في ذلك أن الطريق الشرقي المرتبط بالمغرب الأدنى، والطريق الأوسط لهذه التجارة أيضا والمرتبط بالمغرب الأوسط، قد تعطلا بسبب الهجرة الهلالية[80]، وما رافقها من اضطراب سياسي واقتصادي في المغربين الأدنى والأوسط، وقد أدى هذا إلى تعطيل نشاط تجارة القوافل الصحراوية المستخدمة للطريقين الشرقي والأوسط[81]، وإذا كانت النشاطات التجارية قد توقفت في المسلكين المذكورين بسبب تأثير الهجرة الهلالية ، فإن الطريق الغربي قد ظل بعيدا

عن تأثير تلك الهجرة، لذلك أصبح هذا الطريق الذي يربط المغرب الأقصى بالسودان الغربي هو الطريق الرئيسي للتجارة عبر الصحراء في هذا القرن.

ويمكن القول أن ظهور المرابطين كقوة جديدة في المغرب الأقصى، قد ساعد على توفير جو خال من الفوضى والاضطراب، أدى إلى تنشيط الأعمال التجارية عبر طريق (سجلماسة، أود غشت، غانة)[82].

8. العداء بين الموحدين وملوك السودان في القرن السادس الهجري/12م:

ما إن حل القرن السادس للهجرة، حتى ظهرت دولة الموحدين والتي تزامنت معها في الظهور مملكة مالي[83] كقوة سياسية وعسكرية في جنوب الصحراء، والتي غيرت نظام التبادل التجاري بين السودان الغربي وبلاد المغرب، إذ أصبح الماليون يقصدون الشمال، ويأخذون الملح من تاغزة ويجلبونه إلى بلادهم[84] ، ويؤكد المؤرخ البرتغالي غودينيو (Godino) بأن التجار السودانيين كانوا يصلون إلى جنوب المغرب الأقصى منذ العهد الموحدي[85].

وهكذا أصبح السودان الغربي يرجح الكفة لصالحه في تجارته مع المغرب، ووجد التجار الغانيون دعما من طرف حكومتهم، التي قامت بالتضييق على التجار المغاربة في العمل في أسواقها ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده من تجارة[86]، وردا على هذه المعاملة السيئة للتجار المغاربة، بعث الأمير الموحدي أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن ابن علي رسالة إلى ملك السودان بغانة ينكر عليه تعويق التجارة الصحراوية.

وقد أورد لنا المقري في (نفح الطيب) نص هذه الرسالة التي بعث بها ومن ذلك قوله: "نحن نتجاوز بالإحسان، وإن تخالفنا في الأديان، ونتفق على السيرة المرضية ونتالف على الرفق بالرعية..... وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده، وتردد الجلابة إلى البلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها"، ويختم كتابه بتهديد ملك السودان بقوله "ولو شئنا لا

احتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق ونأتي مثله"[87].

كما واجهت التجارة الموحدية مع بلاد السودان صعوبات كبيرة، جعلتها تتأخر عما كانت عليه أيام المرابطين، حيث لم تعد صحراء صنهاجة مكانا آمنا للتجار المغاربة، على الرغم من تحالف الموحدين مع قبائل مسوفة[88]، لكثرة حوادث قطع الطريق الرابط بين سجلماسة وغانة من طرف الخوارج، رغم حرص أمير سجلماسة على قطع دابرهم[89]، لهذا تحولت التجارة مع السودان من الطرق الساحلية المحاذية للمحيط الأطلسي إلى وسط الصحراء، في اتجاه وركلان والواحات الأخرى، ثم منها إلى سجلماسة وبلاد السودان[90].

9. **الصراع المريني الزياني خلال القرن السابع والثامن الهجريين/ 13 و14م:**

أما في العهد المريني، فقد توثقت عرى الصداقة بين المغرب الأقصى ودولة مالي بصفة خاصة، وكان بين السلطان أبي الحسن المر يني (حكم من 731-751هـ/ 1331-1351م) ملك المغرب وبين منسى موسى ملك مالي (حكم من 707-732هـ-1307-1332م) علاقات طيبة، إذ أرسل الأخير قبل وفاته بقليل، وفدا من أهل مملكته إلى فاس لتهنئة السلطان أبي الحسن على استيلائه على المغرب الأوسط، وانتصاره على بني عبد الواد بتلمسان، وبادله السلطان بأن أرسل وفادة مقابلها إلى مالي، ومن بين أعضاء الوفد كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين، ومولى السلطان عنبر الخصي، وصحب السفارة علي ابن غانم أمير أولاد جار الله من المعقل، حتى يؤمن لهم الطريق إلى هناك، ووصل الركب عام (737هـ / 1337م) على أيام حكم منسى سليمان ابن أبي بكر، الذي خلف منسى مغا (محمد) ابن السلطان موسى[91].

ولم تخفى على حكام تلمسان أهمية التبادل التجاري منذ وقت مبكر، لاعتقادهم أن ثروة الدولة تكمن في امتلاك أكبر كمية من الذهب، وهذا هو التفكير الذي كان سائدا في العصور الوسطى، وهذا ما يفسر محاولة الأمير يغمرا

سن (633-681هـ/ 1235-1283م)، الاستيلاء على سجلماسة محطة القوافل في طريق جنوب الصحراء، ودخوله في صراع مع المرينيين من أجل السيطرة عليها، وقد استولى عليها سنة 662هـ / 1224م، لكن الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني احتلها في صفر سنة 673هـ/ 1274م(92).

وكان أبو حمو موسى الأول(707-718هـ/1307-1318م) يدرك أيضا أهمية التجارة مع بلاد السودان كما يظهر من قوله: "لولا رغبتي في اتقاء ما يلحق بي من شناعة ، لما أنزلت ببلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر، الذي كل أمور الدنيا له تبع، ومن سواهم يحمل منها الذهب ومنه ما يغير العوائد ويجر السفهاء إلى المفاسد"(93).

وشهدت التجارة مع بلاد السودان ازدهارا كبيرا أيام أبي تاشفين الأول (718-737هـ/ 1318-1337م)، كما ارتبط هلال القطلاني حاجب أبي تاشفين الأول بالصداقة مع منسى موسى ملك مالي المذكور، عندما التقى به في موسم الحج بمكة(94).

كما كون الإخوة المقري الخمسة شركة تجارية وتعاملوا مباشرة مع ملوك مالي الذين كانوا يحسنون استقبالهم، ويشجعونهم على ممارسة التجارة في بلادهم، فتبادلوا الرسائل مع منسى موسى(95)، ونلمس ذلك من خلال ما ساقه ابن الخطيب بقوله "...... فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراوية تقدم عند المسير، وكان ولد يحي الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ، فكان أبو بكر ومحمد وهما أورمتا نسبي في جميع جهات أمي وأبي بتلمسان، وعبد الرحمان وهو شقيقاهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهما الصغيران بإيوالاتن(96)، فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء، وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من سلع ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز و التبر،

والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسارة والرجحان، ويكاتبهما بأحوال البلدان حتى اتسعت أموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم...."[97].

والى جانب عائلة المقري، اشتهرت عائلات تلمسانية أخرى بالتجارة مع بلاد السودان، مثل عائلة العقباني، وعائلة المرازقة، وكانت لها علاقات حسنة مع أمراء تلمسان وملوك بلاد السودان الذين شجعوها على ممارسة التجارة في بلادهم[98]، هكذا –إذن- سعى الزيانيون إلى احتكار تجارة الصادر والوارد مع بلاد السودان.

أما في الجهة الشرقية من بلاد المغرب الإسلامي، فقد عرفنا أن المسلك الشرقي فقد أهميته منذ القرن الخامس الهجري/ 11م، بسبب الهجرة الهلالية وما أعقبها من اضطرابات سياسية واقتصادية، إضافة إلى سيطرة المرابطين على المسلك الغربي وعملهم على ازدهار التجارة الصحراوية عبره على حساب الطريق المذكور، وقد ظل كذلك طيلة القرون الثلاثة اللاحقة، غير أنه بدأ يسترجع أهميته ابتداءً من القرن الثامن الهجري/ 14م مع النهضة الحفصية في عهد السلطان أبي العباس(772هـ/ 1370م- 796هـ/ 1394م)، التي منحت حسب تحليل "حركات إبراهيم" كل الحظوظ لاستعادة هذا المسلك لنشاطه عبر تمبكتو[99].

وقد استمرت الحركة التجارية نشطة بين بلاد المغرب وبين بلاد السودان إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي)[100]، ومعها أيضا استمر الصراع على المسالك المؤدية إلى هناك بالطبع.

وفي الأخير نصل إلى جملة من النتائج أهمها:

1/ على عكس ما قد يتبادر إلى ذهن البعض، من أن الصحراء الإفريقية شكلت حاجزا بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي، فقد وجدت فيها شبكات من المسالك ربطت بين المنطقتين، كانت بمثابة قنوات لتدفق السلع والقيم معا، تمثلت أساسا في ثلاث طرق رئيسية مع فروعها.

2/ أن هذه المسالك الصحراوية لم تكن مجرد خطوط على خرائط المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بل كانت بمثابة الشريان الذي يمد بالحياة لكل الدول التي ظهرت في نطاقه في الفترة المذكورة، ذلك أن التطور العمراني والازدهار الحضاري الذي عرفه الغرب الإسلامي آنذاك وبالتالي العالم الإسلامي، وثيق الارتباط بمسالك تجارة الذهب أهم سلع ذلك الزمان مع بلاد السودان، مما جعلها تشكل القضية الأساس والاهتمام الرئيس لدى أغلب الدول المذكورة، مما يفسر سعي مختلف الأنظمة السياسية التي تولت هذه الدول إلى العمل على احتكار تجارة الصادر والوارد مع الصحراء الإفريقية.

3/ وفي أثناء سعيها المذكور لم تتوانى في سبيل تحقيق أهدافها، أن تستعمل شتى الوسائل والسبل، سواء منها المشروعة أو غير المشروعة، المستترة أحيانا والمعلنة أحيانا أخرى، من إقامة للعلاقات المباشرة مع ملوك السودان الغربي، بل وشن حملات عسكرية على المناطق الإستراتيجية والمدن التي تشكل محطات لطرق القوافل الصحراوية، وتأييد الحركات المناهضة للخصم بغض النظر عن لونها ومذهبها، مستعملين في سبيل التعرف على أوضاع الطرف الآخر شبكة من المخبرين، إضافة إلى استغلالهم للصراع القبلي إلى أبعد الحدود، وغيرها من الأساليب والسبل، تدعيما في الأخير لكيانها، ومن ثم نفوذها في البلاد.

4/ ونتيجة لذلك فإن المسالك الصحراوية كانت تتغير أهميتها نظرا لتأثير عوامل عدة، لعل من أهمها العوامل السياسية، وعلى رأسها ثقل الدولة المسيطرة، والتي تقوم بتفعيل واحتكار مسلك معين أومسالك على حساب مسالك وطرق مناطق أخرى.

5/ وفي خضم الصراع دائما ومما نلحظه بشأنه أنه تركز بصفة أكبر في الجهة الغربية من بلاد المغرب للسيطرة على المسلك الصحراوي هناك لكونه المورد الخاص بتجارة الذهب.

6/ وبالتالي فالصراع بينها لا يعود إلى العوامل السياسية والمذهبية فحسب، إنما مرده بنسبة أكبر إلى الأسباب الاقتصادية وبالأخص منها الجانب الجديد والخطير

كما ذكرنا ألا وهو السيطرة على مسالك الاتصالات الصحراوية، نظرا لأهميتها في صيرورة الدورة التجارية المغربية حينها.

7/ ومسألة السيطرة على المسالك التجارية الصحراوية منها على الأخص، لم تقتصر على بعض الدول المغربية في العصر الوسيط كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين، لنؤكد على أنها ظاهرة تاريخية عامة اشتركت فيها أغلب الدول التي ظهرت بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

❖ هوامش البحث:

(1) أنظر على سبيل المثال لا الحصر دراسة حول نفس الموضوع للحبيب الجنحاني، الذي خصها لتحليل الصراع بين دولتين مثل الأمويين في الأندلس و الفاطميين بالمغرب ، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان ، ط1، 1980، ص- ص 77-92 ؛ كذلك الإشارة لنفس الموضوع من قبل موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول، القرن2-5هـ (8-11م)، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص.89 وما بعدها.

(2) أنظر المصادر العربية فجلها فسرته بالدافع المذهبي والسياسي كما سنرى فيما بعد، وقد تبعتها في ذلك بعض الدراسات ، أنظر الإشارة لهاته الدراسات من قبل الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص.82.

(3) إسماعيل محمود، دولة الإدارسة، حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط1، 1991، ص.129.

(4) للتعرف على شبكات هذه المسالك بشكل مختصر أنظر موريس لومبار، المرجع السابق، ص- ص.334-336؛ وللتفصيل أكثر يرجع إلى عقيبي عز الدين، "دور المسالك في الإنماء الحضاري للمغرب الإسلامي والسودان الغربي من الفتح والى غاية القرن 8هـ / 14م"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعدالله،2014، ص- ص .95-106.

(5) صباح إبراهيم الشيخلي، النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، مقال في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19 م، معهد البحوث و الدراسات العربية، بغداد، 1984، ص. 30.

(6) أودغشت: البكري يحدد موقعها مابين سجلماسة على بعد مسيرة شهرين، وبين مدينة غانة على بعد خمسة عشر يوما، ويصفها بكونها ذات عمارة وأسواق ومبانيها

حسنة متقنة، وأنه يسكنها زناته مع العرب، البكري (أبو عبيد الله) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المكتبة الأمريكية والمشرقية، باريس، 1956، ص. 168.

(7) نفس المصدر، ص .156.

(8) شنايت العيفة، دولة بني مدرار بسجلماسة، ودور تجارة القوافل في ازدهارها، بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1990-1991م، ص.13.

(9) الشيخلي، المرجع السابق، ص.30.

(10) للتعرف على الخوارج وحركاتهم أنظر محمود اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1976.

*(11)*L aroui (Abde ellah), L'histoire du Maghreb, Paris, P .119.

.

(12) الدولة الرستمية (160-296هـ/ 777-909م): مؤسسها عبد الرحمان بن رستم الفارسي الإباضي، وكان حكمها في أسرته من بعده، عاصمتها تيهرت التي ذكر بشأنها بن الصغير بأنها كانت قبلة التجار من كل حدب وصوب، وقد أولى حكامها المجال الإقتصادي إهتماما بالغا، برغم القلاقل و المؤامرات الداخلية والخارجية، خاصة مع السودان الغربي و بالضبط مع (غاو) عاصمة مملكة (سنغي)، وأخيرا وضع الغزو الفاطمي الشيعي سنة 296هـ/ 909م حدا لهذه الدولة، أنظر ابن الصغير، أخبار الائمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وبحاز إبراهيم بكير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ؛ أنظر أيضا بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية ، دراسة في الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية و الحياة - - الفكرية، ط2 ، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، 1993؛ وأنظر محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت ، ط3، 1997.

(13) ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص37،36.

(14) الدرجيني (أبو العباس احمد بن سعيد)، طبقات المشائخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، دون تاريخ، ج2، ص.320؛ ابن الصغير، المصدر السابق، ص.81.

(15) ابن الصغير، نفس المصدر، نفس الصفحة.

(16) يرجح السيد عبد العزيز سالم، أن هذه البعثة الدبلوماسية كانت وجهتها إلى ملك مملكة سنغاي التي كانت عاصمتها غاو، أنظرتاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، مصر، دون تاريخ، ص.484.

(17) موريس لومبار، المرجع السابق، ص.336.

(18) سجلماسة: مدينة بنيت عام 140هـ/ 757م، أخذت مكان ترغة (مدينة مندثرة)، وهي كما وصفها البكري، مدينة سهيلة أرضها سبخة، وحولها أرباض كثيرة، فيها دور رفيعة، بها بساتين كثيرة، يحوطها سور كبير له أثنا عشرة بابا، يخترقها نهر، و هي أول الصحراء ومنها يدخل إلى بلاد السودان، كانت عاصمة دولة بني مدرار أنظر البكري، المصدر السابق، ص ص.149،148.

(19) ابن الصغير، المصدر السابق، ص.183.

(20) جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.272.

(21) ناصر محمد، دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، مكتبة الظاهري للنشر والتوزيع سلطنة عمان، بدون تاريخ ، ص. 08.

(22) ابن الصغير، المصدر السابق، ص.357.

(23) الدولة المدرارية في المغرب الأقصى (140-297هـ/ 757-909م)، أسسها الخوارج الصفرية في سجلماسة، الحاكم الأول لها كان عيسى بن يزيد الأسود، ثم إنتقل الحكم إلى بيت أبي القاسم سمكو بن واسول، وظل وراثيا في هذا البيت حتى

سقطت على يد الفاطميين، أنظر محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، مرجع سابق ، ص ص، 112- 118.

(24) صباح إبراهيم الشيخلي، المرجع السابق، ص. 32.

(25) الإدريسي (أبو عبد الله الشريف): القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي.الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م، ص.86.

(26) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم): تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار (المعروف بالرحلة). دار صادر، بيروت، 1992، ص.673.

(27) لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/ 11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص.218.

(28) موريس لومبار، المرجع السابق، ص. 91.

(29) دولة الأدارسة (172-375هـ/ 789-985م)، تنسب إلى إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي (ض)، الذي تمكن من تأسيسها في المغرب الأقصى، بعدما فر إثر انهزام الطالبيين في معركة فخ بالحجاز سنة 169هـ/ 786م، وأتخذ مدينة وليلى عاصمة لها، لكن في عهد عقبه إدريس الثاني(حكمها كان وراثيا)، أصبحت فاس هي العاصمة الجديدة، وفي عهده أيضا شهدت الدولة الإدريسية أكبر امتداد لها، ومع مرور السنين اعتراها الضعف وأصبحت محل مد وجزر بين الفاطميين في المغرب والأمويين بالأندلس إلى إن كانت نهايتها على يد المنصور محمد بن أبي عامر حاجب الخليفة الأموي بقرطبة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر، حين تمكن من قتل آخر أمرائها الحسن بن كنون، أنظر محمود إسماعيل، دولة الأدارسة، مرجع سابق.

(30) ابن الخطيب (لسان الدين): أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثالث، تحقيق و تعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني،

نشر و توزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص .191. وما بعدها، السلاوي (أبوالعباس احمد بن خالد الناصري)، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، جـ 1، ص .68 و ما بعدها؛ إبن أبي زرع (أبو الحسن أحمد)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1980، ص. 20 وما بعدها.

(31) تامسنا : كلمة ترجع إلى أصل بربري من لهجة زناتة تعني البسيط الخالي، وتبدأ من الأراضي الممتدة على ساحل المحيط من الرباط إلى ماوراء الدار البيضاء، أنظر إبن الخطيب،أعمال الأعلام ، ص .180.

(32) الدولة البورغواطية (125-542هـ/ 742-1148م): قامت في منطقة تامسنا المذكورة أسسها طريف بن مالك المصمودي، و قيل أنه يهودي الأصل، وهو أحد الفاتحين للأندلس مع موسى بن نصير سنة 710م، و لجهوده منح "بربط " مكان من أعمال شذونة جنوب الأندلس، وبعد عودته تمت توليته كقائد عسكري على قبائل زواغة وزناتة في تامسنا، لذلك عرف أتباعه بالبورغواطيين، ثم شارك في ثورات الخوارج مع ميسرة المدغري (أو المطغري) ضد عمال الأمويين بطنجة سنة 122ه/ 739م، وعندما فشلت الثورة، فر هو إلى تامسنا، وهناك أسس دولته التي اتخذ لها مدينة " شالة" عاصمة لها كما ألف كتابين شرع فيهما الدين الجديد لأتباعه ، ومنحهما إبنه صالح وأوصاه بنشر الدين الجديد متى سنحت الظروف بذلك، خلفه صالح هذا الذي إدعى النبوة، كما إدعى أن الله أنزل عليه قرآنا باللغة البربرية ، وانه المهدي الأكبر، وظلت هذه الدولة قائمة و الحكم في عقبه ، رغم محاولات غيرهم في القضاء عليهم أهمها محاولات الأدارسة عهدى إدريس الأول و الثاني لكنها باءت بالفشل، كذلك محاولة الحاجب المنصور بن أبي عامر الأموي سنة 366هـ من خلال عامله على البصرة المغربية و هو جعفر بن علي، فشلت هي الأخرى، إلى أن قامت دولة المرابطين أين شن عليهم عبد الله بن ياسين حملة عسكرية وكانت له معهم ملاحم عظام أستشهد في إحداها على يد ملك البورغواطيين آنذاك أبو حفص عبد

الله، ثم خلفه في جهادهم أبو بكر بن عمر الذي تمكن من هزمهم حتى تفرقوا في المكامن والغياض واستأصل شأفتهم وحملهم على الإسلام الصحيح، أنظر البكري، المصدر السابق، ص.134 وما بعدها؛ أنظر أيظا السلاوي، المصدر السابق ،ج2، ص.14 وما بعدها.

(33) محمود إسماعيل، دولة الأدارسة، مرجع سابق، ص ص.130،129.

(34) المرجع نفسه، ص.133.

(35) ابن الخطيب، ج3، المصدر السابق، ص.32 ؛ محمود إسماعيل، مرجع سابق، ص.133.

(36) ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص.205.

(37) محمود اسماعيل، دولة الأدارسة، مرجع سابق، ص. 137.

(38) تلمسان، يصفها البكري على أنها مدينة ساحلية و يقول عنها أن لها أسواق ومساجد ومسجد جامع، وأشجار وأنهار، وهي مقصد لتجار الآفاق أنظر البكري، المغرب، ص. 87؛ ويضيف السلاوي على أنها كانت تقيم بها قبائل مغرارة وبني يفرن الزناتيين، انظر السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص .69؛ إبن أبي زرع، المصدر السابق ، ص .21.

(39) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.21.؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص.192.

(40) محمود إسماعيل، دولة الأدارسة، مرجع سابق، ص.138.

(41) نفسه، ص.139.

(42) اليعقوبي، تاريخ البلدان، مطبعة بريل، ليدن ، 1890، ص. 358.

(43) دولة الأغالبة (184-296هـ/ 800 -909م)، أسسها إبراهيم بن الأغلب بطلب وموافقة من الخلافة العباسية ببغداد، وظل حكمها في عقبه، وتميزت بنشاطها البحري، إذ تمكنت من فتح صقلية، إضافة إلى تهديدها لشبه الجزيرة الإيطالية مرات

عدة، وظلت متماسكة إلى أن داهما المد الفاطمي وسقطت أخيرا عام 296هـ/ 909م، أنظر محمد الطالبي، عن إفريقية في العصر الأغلبي، ضمن كتاب تاريخ تونس في العصر الوسيط، تونس، دون تاريخ.

(44) محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي(184-296هـ)، تعريب الصيادي المنجي، مراجعة و تدقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1995، ص 339.

(45) محمد الطالبي، عن إفريقية في العصر الأغلبي، مرجع سابق، ص. 185؛ أنظر أيضا محمود إسماعيل، دولة الأدارسة، مرجع سابق، ص.147.

(46) محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص. 148.

(47) الدولة الفاطمية أو العبيدية (296-564هـ/ 909-1171م)، أسسها عبيد الله الشيعي الصنعاني، الذي إستعان بقبيلة كتامة القوية، وأعطى الحكم لعبيد الله المهدي، بعد أن نجح في القضاء على الدول المستقلة، الأغالبة و الرستميين ، ثم المدراريين، ليبقى الحكم في عقبه، وكانت لهم حملات عدة على الغرب الإسلامي بغية السيطرة عليه وعلى موارده، ثم انتقلوا إلى مصر بعد ما تم فتحها من قبل قائدهم جوهر الصقلي، وخلفهم على بلاد المغرب كعمال لهم الزيريون، وكانت لهم محاولات للإمتداد في الشرق وبالأخص في الشام، وظلت قائمة إلى نجح صلاح الدين الأيوبي في القضاء على هذه الدولة عام 564هـ/ 1171م، أنظر إيفان هربك، بروز الدولة الفاطمية، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، المجلد الثالث ، أنظر أيضا على محمد الصلابي، الدولة الفاطمية، دار إبن الجوزي، القاهرة، 1428هـ/ 2007م.

(48) أهم هذه الحملات هي: حملتي مصالة بن حبوس المكناسي سنة 305هـ/ 918م، و 309هـ/ 922م، حملة حميد بن يصلتين الكتامي سنة 320هـ/ 932م، حملة ميسور الفتى عام 323هـ/ 935م، حملة جوهر الصقلي سنة 347ه/ 959م، حملة يوسف بن زيري سنة 371ه/ 952م، وللتعرف على الخلفية الحقيقية لتجهيز هذه الحملات

ومنها السيطرة عل مسالك الإتصالات أنظر الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص ص.77-90.

(49) نفسه، ص 75؛ أنظر أيضا موريس لومبار، المرجع السابق، ص 92؛ أنظر أيظا إيفان هربك، بروز الدولة الفاطمية، مرجع سابق، 358.

(50) عن ثورات السجلماسيين ضد الحكم الفاطمي، الأسباب و النتائج ، أنظر محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص ص. 210-228.

(51) L'aroui (A) ,op.ciT,pp-127 .

(52) هو أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن يفرن، ويفرن هذا هو أخو مغراو الذي تنسب إليه قبيلة مغراوة، وأمه إسمها سيكة وهي من بلاد السودان، التي كان يتردد عليها والده للتجارة، كان في بداية أمره معلما للقرآن الكريم ، كما بدى بمظهر الزهاد للبسه الصوف واستعماله الحمار في أثناء تنقلاته بين القبائل والجبال حتى عرف بصاحب الحمار، وكان نكاريا (فرقة من فرق الخوارج) ومستغلا للعداء بين زنانة و العبيد بين نتيجة إثقال كاهلهم بالضرائب الفادحة إضافة لرفض البرابرة لسب الشيخين(أبو بكر وعمر (ض) على المنابر وفي المنتديات، أشعل أبو يزيد ثورته في زمن عبيد الله المهدي، حيث بدأت إرهاصاتها منذ 302هـ، وساعده في ذلك أهل السنة وعلمائهم رغم أنه خارجي المذهب، وذلك نكاية في الفاطمين الشيعة وإنتقاما منهم لأفعالهم الشنيعة ضدهم، واستطاع الزحف بثورته من مناطق الزاب إلى بلاد الجريد إلى طرابلس، بليبيا، بل لقد استطاع محاصرة الفواطم في عاصمتهم المهدية وكاد أن يقضي عليهم، لولا أن انفض مشايعيه من حوله لسوء أفعاله ضدهم، حينها تمكن العبيد يون في زمن إسماعيل محمد المهدي الملقب بالمنصور من القضاء عليه ووضع حد لثورته سنة 366هـ / 947 و واصل ابنه" فضل" الثورة مطالبا بثأر أبيه فأرسل إليه المنصور قائده زيري بن مناد فقتله، وانتهى الأمر، أنظر علي محمد الصلابي، الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص ص. 51ـ 52.

(53) موريس لومبار، المرجع السابق ، ص .92.

(54) نقلا عن الحبيب الجنحاني ، المرجع السابق ، ص 68.

(55) نفسه، ص.75.

(56) نفسه. ص. 68.

(57) ابن حوقل أبو القاسم، النصيبي، كتاب صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ ، ص.91.

(58) نفسه، ص.92.

(59) موريس لومبار، المرجع السابق، ص.335.

(60) لقبال موسى، المرجع السابق، ص.474.

(61) موريس لومبار، المرجع السابق، ص. 92-93.

(62) نفسه، ص. 91.

(63) الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص. 68.

(64) نفسه، ص. 79.

(65) نفسه، ص. 68.

(66) انظر الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص ص 71-90.

(67) الدولة الزيرية (362-543هـ/ 973-1148م)، تأسست بعد أن عهد المعز لدين الله الفاطمي قبل رحيله إلى مصر لبكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أن يتولى أمور افريقية والمغرب تابعا للفاطميين في مصر مع المحافظة على المذهب الشيعي مذهبا رسميا في افريقية والمغرب، لكن عندما تولى المعز بن باديس عام 406هـ/ 1048م، أعلن الاستقلال والعودة إلى المذهب السني المالكي، انظر الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1992.

(68) ابن عذاري (أحمد بن محمد)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب ودار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة 1983، الجزء الأول، ص. 246.

(69) نفسه، ص. 275.

(70) الشيخ الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية بعد القرن السادس عشر الميلادي، ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، 1404هـ/ 1984م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ص. 88.

(71) ابن عذاري، المصدر السابق ، ج1، ص.238؛ الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص. 87.

(72) الحبيب الجنحاني، نفس المرجع، نفس الصفحة..

(73) عن دولة المرابطين انظر: إيفان هربك وجان دفيس، المرابطون، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، المجلد 3، ص ص .371-402.

(74) ابن عذاري، المصدر السابق، ج 4، ص ص . 7-10.

(75) إيفان هربك وجان دفيس، المرجع السابق، ص. 383.

(76) ابن عذاري ، المصدر السابق، ج4، ص. 12، 13.

(77) البكري، المصدر السابق ، ص. 168.

(78) إيفان هربك وجان دفيس، المرجع السابق، ص. 383.

(79) Bovill (E.W) , The Golden Trade of the moors 2nd edition: oxford- London-1970,p.70.

(80) عن الهجرة الهلالية وآثارها السياسية والاقتصادية على المغرب، أنظر ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن

عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ج 6، ص ص .27-48.

(81) إيفان هربك، بروز الدولة الفاطمية، المرجع السابق، ص ص . 367-370 ؛ أنظر أيضا أحمد موسى عزالدين، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس للهجرة، الطبعة الأولى دار الشروق، بيروت، 1983، ص.265.

(82) احمد طه، جمال، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دراسة سياسية وحضارية، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت، 1983، ص.265.

(83) إمبراطورية مالي انفصلت عن الكونغو عام 1230م حيث قام قائد ماندينكا سونديانا كيتا ,(Sundiata Keita) بتكوين اتحاد للقبائل في الوادي الخصيب بأعالي نهر النيجر وجعل جيرانه تحت سيطرته مؤسسا إمبراطورية مالي وكانت أكبر من مملكة غانا. وأثناء أوجها، امتدت الإمبراطورية من ساحل المحيط الأطلسي بالغرب إلى ماوراء تخوم منحنى نهر النيجر بالشرق، ومن حقول الذهب في غينيا بالجنوب إلى محطّ القوافل التجارية عبر الصحراء بالشمال. وكان إمبراطورها مانسا موسى قد حج لمكة عام 1324 م عبر القاهرة، واستقبله المماليك في القاهرة بحفاوة بالغة. وقد انخفض سعر الذهب بالعالم إثر رحلة الحج تلك لكثرة ما وزع من ذهب على طول الرحلة. وفي هذه السنة أصبحت العاصمة تمبكتو بجنوب غرب نهر النيجر مركز تجارة الذهب وتعليم الإسلام. وفي أواخر القرن 14 م استقلت الأقاليم الخارجية. ومن جنوب منحنى نهر النيجر هامت قبائل موسي (*Mossi*) قلب الإمبراطورية واستولى الطوارق، وهم بدو جنوب الصحراء الكبرى، على تمبكتو العاصمة. وفي سنة 1500 م امتد حكم مالي لمناطق بأعالي نهر النبجر، أنظر كربخال، مارمول، أفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زنيبر وأحمد توفيق وأحمد بنجلون، الجزء الثالث ، دار نشر المعرفة، الرباط، 1984.

(84) Baba (Kake) et Elika (M'bolo) , Histoire Générale de L'Afrique (L'ère des grands Empires), Collection dan Franck- Paris.Imprime en Belgique,1979 ,p.68.□

(85) ibid. p.70.□

(86) المقري (شهاب الدين أبو العباس التلمساني): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه وضبطه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي، بيروت، دون. تاريخ ، ج3، ص.103.

(87) نفسه.

(88) أحمد موسى عزا لدين، المرجع السابق، ص.273.

(89) المقري، المصدر السابق، ص.104.

(90) أحمد موسى عزا لدين، المرجع السابق، ص.274.سس

(91) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص.266.

(92) بشاري لطيفة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد بين القرنين (7-10)، مذكرة مقدمة لنيل رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، الموسم الجامعي 1986-1987، ص. 78.

(93) المقري، المصدر السابق، ص.557.

(94) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص.236.

(95) بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص.79.

(96) إيوالاتن (أوولاتة): زارها الرحالة ابن بطوطة ، ومكث بها خمسين يوما، وذكر بشأنها أن أهلها أهل مسوفة (قبيلة من القبائل الصنهاجية)، وأن أهلها مسلمون، وان ثياب أهلها حسان مصرية، أنظر ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)، المصدر السابق، ص.676 ؛ ويعتقد ريمون موني أن ولاته أو إيوالاتن حلت محل مدينة أودغشت المندثرة أنظر:

Mauny (Raymond) , Tableau Géographique du lowest Africain au moyen age , Ifan , Dakar, 1961, P.428.

[97] ابن الخطيب (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974، ج2، ص.192.

[98] بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص. 79.

[99] حركات إبراهيم، دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية، المغرب، 1981، ص.32.

[100] بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص. 80.